رأس المال والابتداعات

الدكتور عبدالرحمن الحبيب
مدرس علم الاقتصاد
كلية الآداب

اهتم الاقتصاديون ، خاصة فى القرنين الماضيين ، فى فهم طبيعة واسباب ثروة الامم • ولكن الذى يؤسف له هو ان هؤلاء الاقتصاديين قد ضحوا بالنظرية الحيوية (Dynamic Theory) ليشرحوا لنا الاثمان النسبية • وهذا العمل هو غير محمود لان معالجة اقتصاد غير نامٍ (Static Conditions) هو خروج عن الواقع والحقيقة وقد حرمنا من بحث موضوعات حيوية وشائقة • وجاء جان مينرد كينز بنظريته العامة وحطم الحواجز وبحث لنا مشكلة حقيقية وهى أسباب البطالة[١] • والذى يوآخذ عليه كينز هو اقتصاره على بحث الموضوعات للفترة القصيرة •

وفى الآونة الاخيرة اتجه اهتمام الاقتصاديين الى مشكلة كلاسيكية وهى النمو العام فى اقتصاديات البلد • وقد زاد هذا الاتجاه الأهتمام بالعوامل التى تسهم فى النمو الاقتصادى والاهتمام بالعوائق التى تقف فى وجه النمو الاقتصادى[٢] •

يعتمد النمو الاقتصادى على البيئة والعوامل الانتاجية المتوفرة • ويقصد بالبيئة هنا مجموع الاحوال والمؤثرات التى تؤثر فى حياة الانسان وفى

---

(١) انظر
John Maynard Keynes, The General Theory of Employment Interest and Money (New york: Harcourt, Brace and Compny, 1935).

(٢) انظر
R.F. Harrod, Towards a Dynamic Economics (London: MacMillan and Co. Ltd., 1952) esp. 1-34.

تطوير سلوكه فى الجماعة • ومن هذا العوامل التى نود الآن بحثها هى تجميع رأس المال والاختراعات •

يعتمد التطور الاقتصادى على تجميع رأس المال وعلى مدى استخدام ما لدى الانسان من معلومات فنية وتسخير هذه المعلومات فى تحسينات وابتداعات(٣) • تستعمل كلمة رأس المال Capital من قبل المحاسبين والمحامين والصيارفة والاقتصاديين ولكنهم يختلفون فيما يقصدون • فى بعض الاحيان يقصد برأس المال الادوات الوسيطة (Intermediate Products) كما يفعل بوم بوفرك(٤) • وقد يقصد به النقد (Money) كما يفعل الرومان وكنت وكسل حيث يقصدون برأس المال المبلغ الاصلى عدا الفائدة(٥) • وفى احيان اخرى تستعمل كلمة رأس المال لتدل على ساعات عمل مجسدة فى سلع او ادوات كما استعملها كارل ماركس(٦) • وكثيرا ما تذكر الكلمة لتدل على الادوات والمصانع والمنشآت التى يحتاج اليها المنتجون فى الانتاج •

---

(٣) انظر

C.D. Tuska, Inventors and Inventions (New york: McGraw-Hill Book company, Inc, 1957), chapter VI, pp. 68-77.

شرح أساليب الاختراع

(٤) انظر

Eugen V. Bohm-Bawerk, the Positive Theory of capital (New york: G.E. Stechert & Co., 1888), p. 22; Joseph A. Schumpeter, History of Economic Analysis (New york: Oxford University Press, 1954), pp. 322-327, 633.

(٥) انظر

André Gabor and I.F. Pearce, "The place of Money Capital in the Theory of Production," The Quarterly Journal of Econohics, Volume LXXII, No. 4 (November, 1958), 537.

(٦) انظر

Karl Marx, Capital, Volume I (Moscow: Foreign Languages Publishing House, 1958), pp. 41-46;

ويصنف ماركس رأس المال الى صنفين : الثابت والدوار أنظر
Volume II, pp. 189-214

والاستاذ نركسي يتبع هذا الاستعمال في كتابه[٧] • وتوجد مدرستان :
(١)المدرسة التساوية ورأس المال بالنسبة لها هو النقد ويحدث الانتاج للحصول على عوائد اكثر من من استثمار النقد • ان الحاجة الى رأس المال النقدي تظهر لانه في الواقع لا يمكن خلق سيل من الانتاج آنيا • ولذا وجب تجميع هذا الانتاج في فترة بناء • ولبناء هذا السيل يلزم شراء واستخدام عوامل الانتاج • فالنقد وسيط وليس له اى انتاج حدى •
(٢) المدرسة التي تسمى بالمدرسة النيوكلاسيكية التي ترتكز نظريتها على فكرة العلاقة الانتاجية (Production Function) وتعتبر النقد كأحد عوامل الانتاج ويمكن الحصول على النقد لقاء ثمن يدفعه المنتج الذي يكون غرضه زيادة عوائده وهي الفضلة او الربح • ومن ممثلي هذه المدرسة لتز وجوآن روبنسن وهكس[٨] •

ويمكن تكوين رأس المال بالطرق التالية[٩] : (١) التوفير الشخصي (٢)الصرف التضخمي(٣) الضرائب(٤) الاقتراض• والتوفير الشخصي يمكن الحصول عليه لسببين : (١) يوفر بعض الناس لان لديهم نقدا يزيد على ما يحتاجون اليه في مصروفاتهم • (٢) ويوفر الناس لان القيم الاجتماعية تتطلب منهم التوفير • وصعوبة الدافع الاول هي ان كثيرا من المال الموفر لا يستخدم بطريقة منتجة • فكثيرا ما استثمر الاغنياء وخاصة في البلدان

---

(٧) انظر
Ragnar Nurkse, Problems of Capital Formation in Underdeveloped Countries (Oxford: Basil Blackwell, 1955), pp. 1-3.

(٨) انظر
Friedrich and Vera Lutz, The Theory of Investment of the Firm (Princeton: Prniceton: Prniceton University Press, 1951), pp. 3-15. (Princeton: Prniceton University Press, 1951), pp. 3 - 15, 67 - 86. Joan Robinson, The Accumulation of Capital (London: Mac Millan & Co. Ltd, 1956), vii, ix, 414 n., J.R. Hicks, Value and Capital, Second Edition (oxford: At the Clarendon Press, 1953), pp. 78-88.

(٩) انظر
Charles P. Kindleberger, International Eccnomics (Homewood, Illinois: Richard D. Irwin, Inc., 1955), pp. 384-387.

المتخلفة اقتصاديا اموالهم الطائلة فى بنـــاء او شـــراء القصور الشـامخة والاقطاعيات الواسعة او اقتناء الخيول الجميلة (والحيوانات والطيور الاخرى كالـكلاب والغزلان والديكة والحمام والبلابل) والسيارات الـكبيرة او المجوهرات والمعادن الثمينة •ويوقف هذا الاستثمار عملية التجميع المجدية• ولما يوفر الافراد من جراء العادة تبقى مشكلة ما سيصنعون بهذه الاموال الموفرة مهمة ولابد من ايجاد حل لها • ويجب ان تشجع قيم الجماعة التوفير المنتج وعلى المؤسسات العامة والخاصة ان تسهل هذا الامر وترعاه • وهذا ليس معناه ان نبجل الاقطاعيين (الزراعيين والصناعيين) ونترك لهم العنان بل يجب تحديد الملـكية وفرض الضرائب المناسبة كما تقتضيه المصلحـة العـــامة •

وقد يتم تكوين رأس المـــال بطريقة فرض الضرائب • والحـكومة تجبى الضـــرائب وتستثمر المقبوضات فى مشروعات منتجة كالـكهربائية ووسائل النقل والمواصلات والمدارس والمصانع الـكبيرة • وتدخل الدولة لازم لعدم وجود التنظيم المتطور فى القطاع الخـاص ولا يتمكن المرء ان يعتمد على الدافع الشخصى للحصول على توفـــير كاف او لدفـع التطـور الاقتصادى • فالافراد مع حسن نياتهم غالبا ما نجدهم غير قادرين ، بدون مساعدة الدولة ، على انجاز الاعمال التى تعود بنفع عام على الجماعة • فقد تنقص الافراد والشركات المواد والمهـارات والقـــدرة على الاختراع او ادخال الابتداع فى المشروعات الاقتصادية •وبالاضافة الى هذا نجد ان هذه المشروعات تميل الى ان تكون كبيرة وتكلف مبالغ طائلة وكذلك فان بعضها لا يدر أى ربح[١٠] • وتوفر هذه المشروعات اقتصاديات خارجيـــة للقطاع الخـــاص •

اما طريقة تجميع رأس المال بالتضخم فهى منتشرة فى البلدان المتخلفة والمتقدمة • وهذه الطريقة شبيهة بطريقة الضـرائب • فالحـكومة تقـوم

---

(١٠) انظر بحثى « التخطيط الاقتصادى نظريا وتطبيقا » فى مجلة كلية الآداب – العدد الاول حزيران ١٩٥٩ • ص ٥ – ٨ •

بالاستثمارات وترتفع الاثمان ويسهم اصحاب الدخل الثابت اكثر من غيرهم في تكوين هذا الدخل بينما اولئك الذين يحصلون على ربح عال لا يقدمون شيئا • ولهذه الطريقة مخاطر كثيرة • فربما يؤثر التضخم في خلق رد فعل سلبي في التوفير الشخصي • وربما يتقاعس الافراد عن التوفير فيمتنعون عن شراء السندات الاستثمارية ولا يودعون مبالغ كبيرة في المصارف ويركزون على شراء الاراضي والسندات ذات الريع الثابت المضمون • وان ارتفاع الاثمان قد يوجه الاموال المستثمرة في مجالات غير مفيدة للجماعة[١١] •

اما الاقتراض فقد يتم من المصارف الوطنية او من الخارج • والاقتراض الاجنبي قد يقبل لانه لا يخفض مستوى المعيشة ولكن المخاطر السياسية والاقتصادية تخيم على رأس الدولة المقترضة • فمخاوف النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي هي من اهم العوامل التي لا تشجع على طرق هذا السبيل • ولكنه مع هذا يحبذ اذا ادى الى خلق توفير شخصي وتكوين رأس مال حكومي باستمرار وبزيادة تستعمل لتسديد الديون نفسها •

اي طريقة تتبع يتوقف على مرحلة التطور الاقتصادي وعلى مقدار المال اللازم وكذلك فالاوضاع العامة لها اثرها الكبير •

ان الحاجة الى رأس المال المنتج ومصادره تبقى تحت الاشتراكية كما هي تحت الرأسمالية • فاذا اريد رفع مستوى العيش تحت الاشتراكية[١٢] اصبح ضروريا ان تساعد قدرة الانسان المادية والعقلية بكميات متزايدة من الادوات والمكائن المختلفة • وعلى الجماعة بصورة عامة ان تستهلك سلعا وخدمات اقل مما تتمكن عمليات الانتاج ان تقدمه لهم • ويكون الفرق رأس مال منتج يستخدم في انتاج سلع وخدمات اخرى • وفي هذه الاحوال يجب اتباع التقشف والاكتفاء بالقليل والبسيط •

---

(١١) فارضين اقتصادا حرا غير مخطط •

(١٢) ويعتد الاشتراكيون بهذه الرغبة ويقولون ان مستوى العيش سيرتفع بأسرع وقع وأكبر خطوات مما كان عليه في العقود الاخيرة المنصرمة William N. Loucks and J. Weldon Hoot, Comparative Eccnomic Systems (Mew york: Harper & Brothers, 1952), pp. 313-314.

يتم تجميع رأس المال في النظام الرأسمالي من قبل الافراد والشركات حسب المجالات المتوفرة لاستثمار المبالغ[١٣] • امـــا التوفير في النظـــام الاشتراكي فهو مرسوم وليس له صلة بالمجالات النقدية المربحة للافراد • ويتم حسب حاجة الاقتصاد الوطني بصورة عامة • فسعر الفائدة في المدى الطويل يسيطر على كمية التوفير ، يزيدها تارة ويقللها تارة اخرى • اما النظام الاشتراكي فيحطم السلوك الذاتي للاقتصاد الوطني ويجعل التوفير او تجميع رأس المال وظيفة مباشرة للتنظيم الاقتصادي المخطط •

وتتدخل الدولة تحت الاشتراكية في السيطرة على ناتج الفعاليـات الانتاجية في اية مرحلة تعتقد انها مناسبة وتحول ما تعتقد انه مناسب من السلع والخدمات الاستهلاكية الى سلع منتجة • وتتحكم الاحوال الاقتصادية (والعسكرية) في طبيعة ومدى هذا التدخل • ويعتقـــد الاشتراكيون ان اساليب التدخل مرنة وقابلة للتغيير • ويمكن اختيار المجالات التي يتم فيها التوفير بوساطة الرسم او التخطيط وتحت اشراف وكالات ذات اختصاص• اما السيطرة على الاثمان والضرائب فتستعمل كوسائل لتكوين رأس المال • فرفع اثمان بعض السلع والخدمات فوق التكاليف يمكن الدولة من استثمار الفرق في تشجيع الصناعات والفعاليات الاقتصادية اللازمة • وهذه الطريقة تمكن الدولة من تقليص بعض الفعاليات وتوسيع فعاليات اخرى • والمستهلك هو الذي يتحمل التكاليف • والمهم هنا هو حسن التخطيط وكفاية الوكالات التي يجب ان يكون هدفها تخفيف العبء عن المستهلك وجعل هذه الاساليب سهلة التطبيق[١٤] •

ان كلا من الابتداع وتجميع رأس المال مهم حيث ان الاول يمكن الانسان من التغلب على ميل ريع رأس المال الى الانخفاض كلما ازداد رأس

---

(١٣) لاسباب غير اقتصادية أنظر
Ralph H. Blodgett, Comparative Economic Systems (Mew york: The MacMillan Company, 1944), pp. 122, 124.

(١٤) انظر
Blodgett, Comparative Economic Systems, pp. 125-140.

المال نفسه والثانى يدفع الانسان على تجنب التبذير وعلى التوفير فى مستويات الفائدة الواطئة وتكوين رأس مال جديد • وقد ركز الاقتصاديون على هذين العاملين (الابتداع وتجميع رأس المال)[١٥] • واهمل بعضهم اهمية توزيع العمل والتخصص فى التطور الاقتصادى[١٦] • ونظروا الى تقسيم العمل كنتيجة او كمصاحب للابتداع والنمو بدلا من كونه مسببا له وبينوا ان تقسيم العمل قد سهل ومكن استخداما كاملا للادوات وهذا بدوره ادى الى الحصول على عوائد عالية لرأس المال المنتج[١٧] •

تتناقص العوائد التى يحصل عليها رأس المال ببطء ولكن باستمرار تحت الاحوال الستاتيكية وبانعدام الزيادة فى المعرفة واستخدامها فى الابتداعات • ويختلف تجميع رأس المال باختلاف العوائد • ويتأثر ايضا برغبة الناس المؤثرة على التجميع وتضحيتهم على التضحية ، تضحية كمية من السلع والخدمات فى الحاضر للحصول على كميات اكبر فى المستقبل • وعدم التأكد مما يكنه المستقبل يدفع المرء الى تفضيل الحاضر على المستقبل • فاى تأمين او تقليل فى عدم التأكد (مثل السلام والاستقرار والضمان وطول العمر) يقوى الرغبة للعدة للمستقبل • ويجذ الانسان الحاضر على المستقبل ولو تساوت الظروف وكانت كلها مضمونة • واى شىء يزيد فى علاقاته مع ابناء جنسه (روابط العائلة والجاذبية الاجتماعية) يزيد فى رغبته المؤثرة على التجميع • وكذلك فالاستقرار وحكم القانون يزيدان فى رغبة الانسان على التجميع •

وفى المدى الطويل يعتمد تجميع رأس المال وتحسن احوال الانسان

---

(١٥) ومنهم جون رى وجوزيف شومبيتر انظر
Joseph J. Spengler, "John Rae on Economic Development: A Note," The Quarterly Journd of Economics, Vol, LXXIII, No. 3 (August, 1959) 395; Joseph A. Schumpeter, The Theory of Economic Development (Cambridge, Mass,: Harvard University Press, 1951), pp. 57-94.

(١٦) ومنهم جون رى •

(١٧) لم يعرجون رى اهمية كبرى لنمو السكان كما فعل آدم سمث الذى اعتبر نمو السكان مصدرا لتقسيم العمل •

على تجميع المعلومات وادخالها فى المخترعات وعلى الابتداعات • وعـــدم وجود الاختراعات يؤدى الى زيادة التكاليف وتأخر فى المقبوضات مما يقلل العوائد كلما تجمع رأس المال الى انْ يبدأ تجميع رأس المال بالتكون ببطء • وهذه الظاهرة جلية حتى فى الاقطار ذات التجميع العالى وهذا لا يقـدم كثيرا فى تحسن احوال الجماعة •

وقد تخلق الاختراعات والابتداعات الرغبة الى التجميع وقـد يزيـد التجميع فى الحصول على اختراعات وابتداعات جديدة • وتميل الاختراعات ان تزدهر عندما تكون الفنون كثيرة ومختلفة لانه غالبا ما تتكون الاختراعات من ربط عدة فنون • وكثرة الفنون تقلل من التقليد وتؤدى الى التبـــاين الثقافى • وتوفر المواد وتباينها بفسح المجال امام الافراد لاختبار الروابط والمسالك الجديدة مما يشجع الاختراع • فبوجود الفنون تتقدم الاختراعات وبتقدم الاختراعات ينشط الابتكار وقد يستثمر الانسان الصحارى والقمر واجراما اخرى[١٨] •

لم يحصل الانسان حتى الآن على الخبرات الضرورية التى تمكنه من الحصول على الحد الاقصى من النمو الاقتصادى • وهذه الخبرات ناقصـــة ولاسيما فى الاقطار المتخلفة اقتصاديا • وكثـير من الاقطـار ينقصهـا النمو الاقتصادى الملموس نتيجة للتوانى فى استغلال الموارد الاقتصادية المتوفرة فيها • والانتاج الحدى واطىء فى البلاد المتخلفة بسبب فقر مجموعات العوامل الانتاجية ولـكنه ليس صفرا • وفى مثل هذه الاحوال يكون الانتاج الحدى للعامل واطئا لجميع اصناف العمل وليس فى الحقل فقط • ومن الضرورى للحصول على نمو اقتصادى ذى اهمية فى هذه الاقطار المتخلفة ان توزع وتستغل الجهود ورأس المال المنتج سعيا وراء :ـ

١ ـ زيادة فى النـاتج ، أى زيادة فى السلع والخدمات سواء كانت للاستهلاك أو الاستثمار •

---

(١٨) ان وجود الاختراعات وادخال الابتكارات فى اقتصاديات البلد يرفع الاجور ويزيد فى الارباح •

٢ – تحسين نوعية الناس كعامل انتاج (أى رفع مستواهم الصحى والثقافى والتدريبى) •

٣ – رفع مستوى فن الانتاج الزراعى والصناعى [١٩] •

وتتمكن الحكومة ان تشجع الاختراعات وتزيد الرغبة فى التجميع وترفع المستوى العلمى والفنى وتستورد العلوم والفنون والصناعات والخبراء من البلدان الاخرى وتحمى الصناعات الوطنية • وخير خدمة تسديها الدولة لاقتصاديات البلد هى توطيد السلام والطمأنينة والامان ومنع التبذير والتخريب وتأسيس المؤسسات العامة كالمصارف والمواصلات والاحتكارات الوطنية والمؤسسات العلمية والفنية •

---

(١٩)

Theodre W. Schultz, "The Role of Government in Promoting Economic Growth." Unpublished paper read November 12, 1955 at the 25th Anniversary of the social sciences at the University of Chicago. Revised Copy, p. 1.